

معركة الساحل الغربي تغير خريطة السيطرة في اليمن



شهدت خارطة السيطرة والنفوذ بين طرفي النزاع في اليمن تحولاً نوعياً في الساحل الغربي على البحر الأحمر. لكن المعركة الأهم على الساحل حول مدينة الحديدة ومينائها الاستراتيجي لا تزال معلقة تحت ضغوط دولية.

بعد مرور الربع الأول من العام الرابع للحرب، انتزعت القوات الحكومية المسنودة من التحالف العربي بقيادة السعودية، مساحات واسعة في الساحل الغربي خلال وقت قياسي.

فيما حققت هذه القوات تقدماً طفيفاً في محافظتي البيضاء (وسط)، وحجة (شمال غرب)، بل وفي محافظة صعدة (شمال)، معقل جماعة «أنصار الله» (الحوثيين) المتهمه بتلقي دعم إيراني.

وفي ضوء التصعيد العسكري الذي بلغ ذروته مع دخول الحرب عامها الرابع وأواخر مارس / آذار الماضي، تشهد خارطة السيطرة والنفوذ الجديدة في النزاع اليمني تغيرات كبيرة بحسب وكالة «الأناسول».

في مطلع عام 2017 سيطرت القوات الحكومية على مدينة وميناء المخا، بعد الالتفاف على الحوثيين من الخط الساحلي لمديرية باب المنذب.

لكن المساحة الأكبر من الشريط الساحلي لمحافظة تعز (جنوب غرب)، ولحج (جنوب)، والحديدة (غرب)، ظل في قبضة الحوثيين، وظلت المياة الإقليمية تحت رحمة صواريخهم.

وفي منتصف أبريل / نيسان الماضي، بدأت قوة عسكرية ضاربة مدعومة من الإمارات، ثاني أكبر دول التحالف، عمليات ضد معاقل الحوثيين في الساحل الغربي لتعز.

وتوجت هذه العمليات بالسيطرة على مديرتي الوازعي وموزع، وما تبقى من مديرية نوباب وباب المنذب، التابعة إداريا لتعز.

توقفت القوات الحكومية على مشارف مدينة البرح غربي تعز، لتؤمن مفرق الوازعية الاستراتيجية من أي هجمات حوثية لاستعادة ما خسرت في الساحل الغربي.

وفي منتصف مايو/ أيار الماضي، قامت قوات مؤلفة من «ألوية العمالقة» في الجيش اليمني، والقوات التابعة لـ«طارق محمد عبد الله صالح»، نجل شقيق الرئيس الراحل، والمقاومة التهامية، بتدشين مرحلة ثانية من العمليات العسكرية لتحرير محافظة الحديدة والسواحل الخاصة بها.

ويفضل ضخامة القوات والعتاد العسكري المقدم من التحالف، تمكنت قوات الحكومة الشرعية في وقت وجيز، من السيطرة على مدينة الخوخة بمحافظة الحديدة.

وزحفت القوات نحو منطقة الحيمة والفازة، وأمنت مساحات واسعة من التحتيتا، وصولا إلى مديرية الدريهمي على مشارف مدينة الحديدة التي يسيطر عليها الحوثيون منذ أكتوبر/ تشرين الأول 2014.

وبعد أن وصلت القوات الحكومية إلى مشارف مطار الحديدة الدولي، بدأت أصوات دولية مناهضة للعملية العسكرية تتعالى بشكل غير مسبوق.

وتطالب تلك الأصوات بوقف العملية العسكرية حفاظا على أرواح المدنيين، وضمان عدم توقف ثلثي الإمدادات التي يتلقاها الشعب اليمني عبر ميناءي الحديدية والصليف.

وتنتظر قوات الشرعية والتحالف نتائج جولات مكوكية يجريها مبعوث الأمم المتحدة مارتن غريفيث بين صنعاء وعدن، لإقناع الحوثيين بتسليم الميناء والانسحاب من الحديدية دون قتال.

لكن جماعة الحوثي التي تسيطر على محافظات بينها صنعاء منذ سبتمبر/ أيلول 2014، ترفض الانسحاب من الحديدية، وأعلنت أنها ستسمح للأمم المتحدة بـ«دور فني ولوجيستي فقط» في ميناء الحديدية.

وفي حال فشل جهود المبعوث الأممي إلى اليمن «مارتن غريفيث» المدعوم بقوة من بلده بريطانيا في مجلس الأمن الدولي، ربما تنطلق المرحلة الثالثة من معركة الحديدية لاستعادة ميناء ومدينة الحديدية.

وإذا حدث ذلك، فسيكون الحوثيون قد خسروا سيطرتهم على جميع الممرات المائية على البحر الأحمر.

خلافًا للساحل الغربي، لم تشهد باقي الأراضي اليمنية تحولاً نوعياً في خارطة السيطرة والنفوذ خلال العام الجاري، عما كانت عليه أواخر العام الماضي.

ففي محافظة البضاء، سيطرت القوات الحكومية على مديرية قانية المحاذية لمحافظة مأرب، وتوغلت نحو أولى مناطق السوادية، رغم أن القتال يتركز في سلاسل جبلية ويصعب تجاوزها.

وفي حجة، أعلنت القوات الحكومية، الأسابيع الماضية، أنها حققت تقدماً في مديرية حرض.

كما تقدمت في مديرية حيران لتكون قد بسطت سيطرتها في مديرتين بالمحافظة المتاخمة للحدود الجنوبية السعودية، وهي ميدي وحرض.

وفي معاقل الحوثيين بصعدة، تحدثت القوات الحكومية عن تمكنها بإسناد من التحالف، من فتح جبهات عسكرية

داخل المحافظة أبرزها: كتاف، والملاحيز، وياقم، ورازح.
وتسعى القوات الحكومية والتحالف إلى نقل المعركة إلى معقل الحوثيين.

ومع تقدم القوات اليمنية من داخل الأراضي السعودية، تسعى المملكة عبر هذا التقدم إلى حماية أراضيها من هجمات التسلل الحوثية.

وتهدف أيضا إلى منع الحوثيين من نصب منصات صواريخ باليستية على شريط المملكة الحدودي، ما يمكن الحوثيين من استهداف العمق السعودي.

إذا عجزت الجهود عن احتواء معركة الحديدة وجمع الأطراف اليمنية على طاولة المفاوضات مجددا، يتوقع مراقبون أن تكون معركة استعادة الحديدة مفصلية في النزاع المتصاعد منذ أكثر من ثلاثة أعوام.

وخلافا للاستنزاف الكبير الذي تعرض له الحوثيون في معركة الساحل الغربي، ومقتل العشرات بشكل شبه يومي، يرى خبراء عسكريون أن تحرير الحديدة سيصيب الحوثيين بمزيد من الوهن الاقتصادي والعسكري.

كما ستفقدهم خسارة الحديدة أهم ورقة تفاوضية، وهي المياه الإقليمية، وستكون مفتتحا لتحرير محافظات متاخمة للحديدة لا يمتلك الحوثيون أي حاضنة شعبية فيها، وخاصة محافظتي ريمة (وسط) والمحويت.

وما زالت العاصمة صنعاء ومحافظات عمران، وحجة، وصعدة، والمحويت (شمال)، وذمار، وريمة، وإب (وسط)، وأجزاء واسعة من الجوف والبيضاء وتعز في قبضة الحوثيين.

وربما يشكل الحل السياسي الذي يسعى إليه المجتمع الدولي طوق نجاة لجماعة الحوثي.

لكن خلافات ما زالت دائرة بشأن تقديم النقاشات العسكرية حول انسحاب الحوثيين من المدن وتسليم السلاح الثقيل، على النقاشات السياسية حول تشكيل حكومة وحدة وطنية يكون الحوثي طرفا فيها.

ويوم أمس دعا زعيم ميليشيا الحوثيين «عبدالمك الحوثي»، السبت، أتباعه ومن وصفهم بـ«أبطال وشرفاء اليمن» باستمرار الحشد لمقاومة «العدوان السعودي الإماراتي»، على حد قوله، متوعدا القوات الإماراتية والقوات اليمنية المتحالفة بمعركة كبرى قاسية وصعبة في الساحل الغربي اليمني.

الجدير بالذكر أن العلاقة بين الحكومة اليمنية والإمارات غلب عليها الصراع لما يقرب من عامين، بعدما تصدرت الأخيرة واجهة نفوذ التحالف في المدن الجنوبية والشرقية. واعتباراً من أواخر مايو/ أيار الماضي سعت أبوظبي إلى تفاهمات مع الجانب اليمني، من خلال دعوة وزير الداخلية اليمني، أحمد الميسري، الذي يعد أحد أبرز رجال الحكومة المؤثرين في الوقت الحالي، إلى الإمارات. وعاد بعد نحو أسبوع، معلناً التوصل إلى تفاهمات على توحيد عمل الأجهزة الأمنية وعلى تمكين الحكومة الشرعية.

ولاحقاً زار هادي أبو ظبي، والتقى ولي عهد أبوظبي، محمد بن زايد، قبل أن يعود إلى عدن، في خطوات مثلت بمجملها بداية مرحلة مراجعة للعلاقات بين الطرفين.

وفي الوقت الذي كان من المقرر أن تمضي فيه التفاهمات بإجراءات تنفيذية تنعكس على الأمن في عدن والمحافظات الأخرى، تأتي عودة ملامح الأزمة من جديد في وقت لم تمض فيه سوى أسابيع قليلة على عودة هادي، الأمر الذي قد لا تقتصر آثاره على حالة الاستقرار المحدودة في عدن، منذ نحو شهر، بل تمتد إلى معركة الحديدة، التي تدعم فيها الإمارات قوات يمنية لانتزاع السيطرة على المدينة والميناء الاستراتيجي من الحوثيين. وإذا ما تصاعد الصراع في عدن ولم يتم احتواؤه قريباً، فإنه يعد مؤشراً على أن التصعيد في الساحل الغربي قد يدخل مرحلة جمود.